التحليل بالتساند في بغية الرائد وأثره في بناء المعنى:
شرح القاضي عياض لحديث أم زرع نموذجا

Analysis by enhancing in kadi ayyad book « boghyat arra- id » and it affect in building sense
Kadi ayyad's explaining to foreigner hadith of « om zarae »

د. مولاي علي سليماني*
myali.slimani@gmail.com
كلية الآداب والعلوم الإنسانية-بني ملال(المملكة المغربية)

تاريخ الإرسال: 2018/11/23 تاريخ القبول:2020/01/09 تاريخ النشر: 2020/09/14

ملخص:

آخذين بعين الاعتبار المشاكل التي تعترض الباحث في تحليل الخطاب في ثقافتنا، سنسعى من خلال هذا البحث إلى بيان اهمية تساند علم النحو وعلم البلاغة والمعجم، في بيان المعنى وذلك من خلال شرح القاضي عياض لحديث ام زرع.

فاعتماد النحو وحده أو البلاغة وحدها أو المعجم وحده لا يفي بالغرض، فلا بد في أي عمل يروم بيان المعنى من أن يعتمد التساند والتكامل بين علوم اللغة.

لقد قررنا الاشتغال على واحد من أشهر الشراح المغاربة، وهو القاضي عياض من خلال كتابه "بغية الرائد فيما تضمن حديث أم زرع من الفوائد.

ولبيان قصدنا سنشتغل على بيان التساند في شرح القاضي عياض لغريب الحديث من خلال حديث ام زرع .

الكلمات المفاتيح: التساند ;النحو ; البلاغة ; الصرف ;غريب الحديث ; القاضي عياض.

Abstract :

Given the difficulties of the analyses discours in our culture , I decided to explain how language science work in the hadith text, particularly when we want to prove how grammer enhancing morphogy and réthorique in kadi ayyad explaning , we have decided to work on one of the prominent explainers in morocco , who is colled al kadi ayyad; and look at his methodology in explaining his book « boghyat arra-id fima tadamana hadito omi zar-in mina lfawa"id » in order to facilitate the concerning facilitating and understanding by providing a comprehensive interpretation.

***Word Key** :enhancing;grammar;morphology ;foreigner hadith; Alkadi ayyad*

تمهيد:

سنسعى، من خلال هذه الورقة، إلى بيان السبيل العلمي والمنهجي الذي سلكه القاضي عياض، رحمه الله، في شرحه لغريب الحديث من خلال الكشف عن تكامل المعارف اللغوية وأثرها في التحليل لذلك وسمناها بـ " التحليل بالتساند في بغية الرائد وأثره في البناء المتعاضد للمعنى :شرح القاضي عياض لحديث أم زرع نموذجا"

ورد الحديث بروايات عديدة ومتواترة يحار المتلقي في الترجيح بينها، لذلك لجأ القاضي عياض، باعتباره شارحا، فضلا عن كونه محدثا، إلى الترجيح بينها، واعتمد أصحها وأوثقها، بناء على خبرته في علم الحديث وتمرسه بأساليبه وطرائق تمحيصه وتدقيقه سندا ومتنا.

* المؤلف المرسل

كما كشف لنا القاضي، في مقدمة نفيسة أمدنا فيها بجملة من المفاتيح المنهجية، عن الخطة المعتمدة في دراسة الحديث قصد تيسيره للمتلقي للظفر بمعناه، والتمرس بعربيته بعد شرح غريبه وفك مغلقه. ولم يفته تنبيه المتلقي إلى الإفادات الفقهية من الحديث.

وقد أفادنا التحليل التساندي في بيان فضل العلم باللغة العربية معجما وتركيبا وبلاغة في شرح غريب الحديث باعتباره يحوي ألفاظا وعرة مستغلقة عن الأفهام تحول دون تلقيه. وقد استلزم هذا من الشارح أن يكون على بصيرة من لغة الحديث، عارفا بضروب القول، حافظا للأشعار، على مكنة ودراية كبيرين بمحتويات المعاجم العربية.

منهج الدراسة:

يرتكز التحليل التساندي في هذه الدراسة على :

1- السند النحوي: وفيه كشفنا عن بعض جهود القاضي عياض في علم النحو، وطريقة استثماره لهذا العلم استثمارا يقوده للمعنى من خلال عرضه آراء النحاة في القضية المدروسة، وترجيح أقربها رحما بمعنى الحدي لتيسير التلقي. فليس الاقتصار هنا فقط على المستوى التركيبي ، فقد يكون المنطلق نحويا ثم سرعان ما يسنده التحليل البلاغي وخاصة علم المعاني، وهكذا يمكن أن نؤكد تعالق النحوي بالبلاغي باللغوي في مقاربة غريب الحديث.

2- السند المعنوي (البلاغي)، وفيه ركزنا على الجانب المعنوي: وبينا من خلاله أن شرح القاضي عياض لغريب الحديث يستند إلى فهم سليم ووعي دقيق بأسلوب القرآن الكريم، لذلك وجدنا شيئا من البلاغة القرآنية وإن كانت متوارية تحتاج إلى إخراج وتحرير، وذلك ما أبنا عنه، بحسب وسعنا الجهد وأسعفتنا الوسيلة.

3- السند اللغوي، فقد كان الداعي إلى معرفة المعاني المعجمية ملحا، لذلك استندت إلى المعجم واتكأت عليه، فكان سندا لنا في هذا التحليل، إذ ليس يتأتى الظفر بالمعنى وتمييز اللفظ عن معادله إلا بالرجوع إلى المعجم.

وقد لجأنا مرارا عديدة إلى الحديث على الألفاظ وبدائلها، وما تتيحه لنا الاختيارات التي قام عليها الأسلوب، مادام هذا الأخير - كما هو مقرر عند الأسلوبيين - ليس إلا إسقاطا لمحور الاختيار على محور التوزيع. والاختيار يبدأ من الأصوات لينتهي بالتراكيب، مؤكدين حقيقة علمية مفادها تكامل المعارف وتساند المستويات في شرح غريب الحديث من خلال كتاب القاضي عياض "بغية الرائد".

<u>تساند المستويين: النحوي والبلاغي في صدر الحديث</u>

قبل الحديث عن منهج القاضي عياض في مقاربة النص الحديثي على أساس من التكامل المعرفي والتساند بين العلوم نرى من الضروري التنبيه على منهجه في مقاربة الحديث، وقبل ذلك المرجحات التي استند إليها في اختيار رواية بدل أخرى ما دام الحديث قد وصلنا بروايات عديدة بعضها فيه الزيادة أو النقصان، وبعضها فيه التقديم أو التأخير، يقول:"وطرقنا في هذا الحديث كثيرة متشعبة، جئنا ببعضها عن أئمة شيوخنا، وبعضهم يزيد على بعض، وفي متن الحديث بينهم اختلافات وزيادات، وتقديم وتأخير، فجئنا بأكملها رواية،

وأحسنها سياقا، بعد تقديم أشهر أسانيدنا فيها، إيثارا للاختصار والائتلاف واستظهارا بمن نهج لنا هذه السبيل من قدوة الأسلاف، ونبهنا على مواضع الخلاف فيها، مما يفيد فائدة، أو يزيد فقرة شاردة، وثم زيادات من غير الطرق التي ذكرناها، جلبنا بعضها، ونبهنا على ما أمكن منها والله ولي التوفيق"[1]

لقد عرض علينا القاضي عياض منهجه في اختيار الرواية بدقة متناهية، رفع من خلال على الباحث مؤنة البحث والتقصي، وكيف لا وهو المحدث والعالم الذي خبر مناهج البحث في علم الحديث، بناء على الشاهد أعلاه نسجل الملاحظات الآتية:

- تعدد طرق الحديث وتشعبهما، وهذا ما يدل على فيض في المعارف، وتعدد في طرائق الاشتغال عليها؛
- اعتماده الرواية الأكمل، وفي هذا إشارة واضحة إلى وجود روايات ناقصة، قد تضلل الباحث الغر الذي لم يستكمل عدة البحث، ولأن القاضي رحمه الله محدث راسخ فإنه تحمل عبء المفاضلة بين الروايات، فغربلها بغربال المحدثين والعلماء العارفين، فقبل ما قبل، فأثبته في بغيته، ورد ما رد وجعله منه بظهر، فأراح واستراح.
- وأما قوله (وأحسنها سياقا) ففيه دليل على عبقرية القاضي عياض رحمه الله، فليس يكتفي في ترجيح الرواية على صحة سندها، بل يعمل طاقاته الذهنية ويلتمس بمعارفة اللغوية والنحوية والبلاغية رشدا في الترجيح، لأن استحضار السياق كفيل بأن يؤمن الاختيار من الزلل، خاصة وأنه مسبوق بمنهج دقيق لا يخفى على المحدثين، ولعل أظهره اعتماد الروايات الأشهر سندا.

يؤكد رأينا الدكتور عبد السلام الهراس وهو يصف منهج القاضي عياض قائلا:"ويقوم منهج عياض على الرواية والدراية، فنراه يعرض روايات الحديث المختلفة، ثم تنتهي إلى التصويب أو الترجيح اعتمادا على سنده وروايته أو يصوب على رواية أو روايات أخرى، وقد يصوب الوجهين ، وهو في ذلك محتج تارة وغير محتج أخرى معبرا عن رأيه بقوله وهو الصواب أو الصواب المعروف، أو هو الصحيح أو الأظهر هنا".[2]

للقاضي عياض جهود لا تخفى في تفسيره لغريب حديث أم زرع، ولقد تعددت وتنوعت تنوع ثقافته وتعدد مشاربه.

مكونات التساند:

1- **<u>السند النحوي:</u>**

لعل أول ما يستوقفنا في تحقيقاته وتدقيقاته لصدر الحديث إيراده لثلاث روايات نجملها في صيغتين هما:

الأولى: جلس إحدى عشرة امرأة؛[3]

الثانية: اجتمعت إحدى عشرة امرأة؛[4]

يرتبط الترجيح النحوي ب(جلس) وبديلتها(اجتمعت)، في حين يقترن الترجيح اللغوي في هذا الشاهد، في المفاضلة بين (امرأة) و(نسوة)، خاصة في الرواية التي حكاها ابن الأنباري، يقول القاضي عياض رحمه الله في رواة الحديث "وبعضهم يزيد على بعض، ولبعضهم زيادة من غير هذه الطرق، فأكثرها غرائب وزيادات ما حكاه ابن الأنباري من رواية الهيثم بن عدي ، عن هشام بن عروة عن عائشة أنها قالت (جلس إحدى عشرة

امرأة في الجاهلية) وفي رواية (اجتمعن) وفي أخرى (جلسن) و(نسوة) مكان (امرأة) ووقع في بعض طرق النسائي (جلس عشر نسوة فتعاهدن وتعاقدن) وقال بعضهم (أن يتصادقن ولا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا"[5]

وقد عرض القاضي عياض بعض روايات النسائي لهذا الحديث كقوله (اجتمعن) بدل اجتمع أو جلس أو جلسن الواردة في رواية الطبري. وفي بعض روايات البخاري ورد (جلس إحدى عشرة نسوة)، التي علق عليها القاضي بقوله"وهكذا وجدتها في أصل الأصيلي أبي محمد بخطه"[6]

إننا نلمس في تعليق القاضي على رواية البخاري تفضيلا لها، إذ إنه في إشارته تلك مزيد عناية واهتمام بها، وهو في ذلك يوطئ لبناء حكم عليها.

ومما أثبته القاضي رواية عبيد القاسم بن سلام: (اجتمعت) بالتاء، بعد العرض يناقش القاضي عياض هذه الصيغ المختلفة من محلين:

"الأول: قوله: (اجتمعن أو جلسن، أو اجتمعت- إحدى عشرة) فأظهر في هذه الروايات علامة التأنيث، ونون الجماعة مع تقدم الفعل، وبابه في العربية والأحسن في الكلام حذفه، وترك علامة التأنيث والجمع وإفراد الفعل".[7]

"المحل الثاني: قوله (إحدى عشرة نسوة) وباب العدد في العربية أن ما بين الثلاثة إلى العشرة مضاف إلى جنسه ليبينه ويوضحه، ومن أحد عشر إلى تسعة وتسعين مميز بواحد منصوب على التمييز يدل على جنسه ، وما بعد هذا مضاف إلى جنسه وقد جاء هاهنا النسوة وهو جنس بعد (إحدى عشرة) وهو خارج عن وجه الكلام ولا يصح نصبه على التفسير، إذ لا يفسر في العدد إلا بواحد، ولا يصح إضافة العدد الذي قبله إلا إليه إذا لا يضاف ما بعد العشر من العدد إلى المائة ، فوجب نصبه عندي، على إضمار "أعني" أو يكون مرفوعا بدلا من "إحدى عشرة" وهو الأظهر فيه، وعلى هذا أعربوا قوله تعالى (وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا) ف(أسباطا) بدل من اثنتي عشرة وليس بتفسير، قاله الفارسي وغيره. وحمل هذا الموضع من الحديث على هذا أولى عندي وأحسن وبالله التوفيق"[8]

ناقش القاضي عياض في المحل الأول ظهور علامة التأنيث في الفعل (اجتمعن أو جلسن، أو اجتمعت) فرجح حذف العلامة في العربية أي في القاعدة النحوية، وكذلك الأحسن في الكلام أن تحذف أي عند أهل الطبع والسليقة، والقاعدة إنما تؤكد الطبع ولا تعترض عليه. ولأن القاضي له حظه الموفور من العلوم اللغوية إلا أنه لا يستنكف أن يحتج بآراء العلماء من أهل الصناعة، لذلك اعتمد رأي سيبويه القائل:"حذفوا ذلك اكتفاء بما أظهروا (يريد من صيغة الجمع والتثنية): فقالوا: قام أبواك، وقام قومك، فاستغنوا بما أظهروا عن قاموا وقاما، وكذلك فعلوا في المؤنث، فقالوا: قامت جاريتاك، إلا أدخلوا التاء للتأنيث وحذفوا علامة الجمع والتثنية كما فعلوا في المذكر".[9]

ولا يقتصر بعرض الرأي الواحد فقط، بل تراه يعرض رأيا للفارسي يخالف رأي سيبويه، يقول "لزمت التاء هاهنا في المؤنث الحقيقي لتشعر بتأنيثه حسب لزومه له وحقيقته، ولم يلزم ذلك الجمع والتثنية إذ ليسا بلازمين لزوم التأنيث"[10]

لقد مضى بنا قول القاضي عياض في شاهد سابق في معرض حديثه عن إظهار علامة التأنيث مع تقدم الفعل "وبابه في العربية والأحسن في الكلام حذفه" لذلك قدم حجج النحاة أولا (سيبويه والفارسي) وثنى بكلام العرب، حيث قال "وقد قال بعض العرب: قال امرأة كأنهم جعلوا إظهار المؤنث بعده يغني عن العلامة[11] وهو المعنى نفسه الذي أورد سيبويه في كتابه، هذا نصه: (وقال بعض العرب: قال فلانة، وكلما طال فهو أحسن، نحو قولك:حضر القاضي امرأة، لأنه إذا طال الكلام كان الحذف أجمل".[12]

إن من جميل صنع القاضي وهو يناقش قضية نحوية محددة أن سلك في عرض حججه، سلمية بديعة كانت البداءة فيها بالعربية، أو بالقاعدة كما سطرها النحاة، ثم التثنية بكلام العرب الفصحاء، ليبلغ على نحو من الشمولية والتوسع الخطاب القرآني فيكشف، من خلال ذلك، استيعاب القرآن لقاعدة النحاة وللكلام البشري. دليلنا في ذلك قول القاضي:"وهو في القرآن الكريم بالوجهين كقوله تعالى(فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى) و (قد جاءتكم موعظة) (وأخذ الذين ظلموا الصيحة) (وأخذت الذين ظلموا الصيحة) (ولو كان بهم خصاصة) وكذلك إذا تقدم الفعل جماعة مؤنث حقيقيا كان أو غيره ففيه وجهان، قال تعالى (وقال نسوة في المدينة)و(جاءهم البينات) و(جاءتكم البينات) و(قالت رسلهم) و(جاءتهم رسلنا) و(استيأس الرسل) ، لأنه يصلح فيه جماعة وجمع وجميع".[13]

لقد دل كلام القاضي عياض حول إثبات التاء وحذفها في القرآن الكريم، على أمر مهم يجعلنا نتجاوز قواعد النحاة، لأن الخطاب الإلهي أوسع من أن تسيجه قاعدة نحوية، لذلك وجدناه يدفع كلامه بالنص القرآني ممثلا بعدة آيات تارة أثبتت فيها تاء التأنيث، وأخرى حذفت. لذلك يبقى الضابط هو المعنى، وفي النص القرآني خط عريض يبدو للقارئ الحصيف العالم بأسرار القرآن، يقول الدكتور فاضل صالح السامرائي: "والذي أراه أن هذا الكلام ليس على إطلاقه (يقصد كلام النحاة) وإنما الذي يقرره المعنى، فليس إثبات التاء في الحقيقي التأنيث أجود، ولا إذا طال الكلام كان الحذف أجمل ، سواء كان المؤنث حقيقيا أم مجازيا، ودليلنا على ذلك كلام الله"[14]

إن القاضي عياض وهو يبحث في أي الروايات أصوب، جعل النص القرآني حجة، فأورد آيات من غير شرح أو تعليل يدفع به جواز إثبات التاء أو حذفها، لذلك ارتأينا تأكيدا لمذهبه أن نقدم الدليل على الأمثلة التي احتج بها، فنقول : فأما قوله تعالى (فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى)[15] مقارنة مع قوله تعالى (قد جاءتكم موعظة)[16] "فقد ذكر الفعل في الأولى مع أن الفصل أقل لأنه بالهاء، وأنث في الثانية مع أن الفصل أكثر لأنه بـ (كم)"[17] وفي هذا دليل مناقض لما أورده سيبويه في الشاهد السالف حين قال (لأنه إذا طال الكلام كان الحذف أجمل).

وأما الفرق بين قوله تعالى (وأخذ الذين ظلموا الصيحة) [18]، وقوله سبحانه (وأخذت الذين ظلموا الصيحة)[19]، "فمرة أنث، ومرة نكر والفصل واحد"[20]، ويبقى الضابط في التذكير أو التأنيث هو المعنى الذي دل عليه اللفظ، والسياق الذي ورد فيه، فقد ورد فعل الصيحة مذكرا ومؤنثا" فقال في قوم صالح (وأخذ الذين ظلموا الصيحة) بالتذكير، وقال في قوم شعيب (وأخذت الذين ظلموا الصيحة) بالتأنيث وقد ذكر السهيلي أن الصيحة في قصة صالح في معنى العذاب والخزي، إذ كانت منتظمة بقوله سبحانه وتعالى (ومن

خزي يومئذ إن ربك هو القوي العزيز) فصارت الصيحة عبارة عن ذلك الخزي وعن العذاب المذكور في الآية، فقوي التذكير بخلاف قصة شعيب، فإنه لم يذكر فيها ذلك".[21]

يبدو، من خلال الآيات التي أوردها القاضي عياض أن له خبرة بالأسلوب القرآني ومعرفة بسياقاته، فالأمر ليس إشكالا نحويا وكفى بل أنه يجد حلا لإشكاله من منظور بلاغي يستحضر السياقات التي وردت فيها الألفاظ المعنية بالدراسة، فضلا عن ربطها بما سبق وما لحق ليتجلى له المعنى، ومن ثمة اقدرة على التعليل البلاغي للقضية النحوية، ثم إنه بدأ بما فيه الفصل بين الفعل والفاعل المؤنث ليؤكد من خلال آيتين قرآنيتين فساد الرأي النحوي وعدم صلاحية إسقاطه على القرآن الكريم ، بل إن آيات(الموعظة) كشفت عن التأنيث مع كثرة الفاصل، والتذكير مع قلته، في حين أن آيات (الصيحة) فقد ذكر الفعل وأنثه والفاصل واحد، هذا يعنى أن الأسلوب القرآني له خصوصيته ، لا يكفي فيه مجرد معرفة قاعدة نحوية مجردة، بل لا بد من الاستعانة بالبلاغة وما تقتضيه من بلوغ المعنى وإبلاغه، واستحضار السياق الوارد فيه .

ثم انتقل القاضي استكمالا لرؤيته القرآنية واستلهاما لها في إثبات النون وحذفها من الفعل الذي فاعله مؤنث ليعرض على الأنظار آيات من عينة أخرى لكنها تدقق في بلاغة القرآن في ما يتعلق بتذكير ما فاعله مؤنث أو العكس، حيث قال: "وكذلك إذا تقدم الفعل جماعة مؤنث حقيقيا كان، أو غيره ففيه وجهان: قال تعالى (وقال نسوة في المدينة) و(قالت رسلهم) و (جاءتهم رسلنا) و (استيأس الرسل)، لأنه يصلح فيه جماعة وجمع وجميع"

فأما قوله تعالى (وقال نسوة في المدينة) فقد ذكر الفعل والفاعل مؤنث، "قال أبو البقاء: وقد يترجح أحد المتساويين في الأمر نفسه مع جواز الآخر كما في قوله تعالى (قالت الأعراب آمنا) الحجرات14،(وقال نسوة في المدينة) يوسف30، تنزيلا لهم منزلة الإناث في نقصان العقل، إذ لو كملت عقولهم لدخل الإيمان في قلوبهم. ألا ترى أن النسوة لما وصفوا زليخا بالضلال المبين، وذلك شأن العقل التام نزلن [منزلة] الذكور"[22] والأولى ما ذهب إليه الفراء في قوله "...مثله (وقال نسوة في المدينة) يوسف30، فذكر الفعل لقلة النسوة ، ومنه قوله (فإذا انسلخ الأشهر الحرم) التوبة 5، ولم يقل انسلخت، وكل صواب. وقال تبارك وتعالى (إن السمع والأبصار والأفئدة كل أولئك) الإسراء 36، لقلتهم، ولم يقل (تلك) ولو قيلت كان صوابا" [23]

وأما قوله تعالى (جاءتكم البينات) و(جاءهم البينات) "فقد أنثها حيث كانت بمعنى العلامات الدالة على النبوات، قال تعالى (فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم)[24] ...في حين استعملها مذكرة في قوله تعالى (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات)[25]، وذلك لأنا بمعنى الأمر والتهي، أو بمعنى الدين أو حبل الله، وليس بمعنى الآيات الدالة على النبوات، ألا تراها منتظمة في سياق الأمر والنهي وليس في سياق الآيات والمعجزات؟ فحيث كانت بمعناها المؤنث أنثت، وحيث كانت بمعنى المذكر ذكرت"[26]

وأما قوله:" (جاءتهم رسلنا) و(استيأس الرسل)، لأنه يصلح فيه جماعة وجمع وجميع" فننظر إليه من زاويتين:

الأولى: اختتامه الكلام بالتعليل الآتي "لأنه يصلح فيه جماعة وجمع وجميع" أي إذا تأنث الفعل كما في الآية (جاءتهم رسلنا) فلأن رسلنا تحمل على جماعة، وأما الرسل في قوله تعالى(استيأس الرسل) فتحمل على جمع أو جميع، وهذا معروف عند النحاة بالحمل على المعنى، ومعروف في كلام العرب كقول الشاعر:

أيها الراكب المزجي مطيته سائل بني أسد ما هذه الصوت

فأنث الصوت حملا على معناه الذي هو الاستغاثة.

الثانية : مناوسة الفاعل المذكر (رسلنا) بين فعلين: مذكر تارة ومؤنث أخرى وهذا تابع للقضية التي انطلقنا منها وهي تذكير المؤنث أو تأنيث المذكر أو احتمالهما معا، يشرح الدكتور السامرائي سبب التذكير تارة والتأنيث أخرى قائلا: "فقال: (قد جاءكم رسل) تذكير الفعل...وقال: (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) فأنث الفعل ، والفرق واضح بين الأمرين، فإن الأولى خطاب لبني إسرائيل فقال لهم (قد جاءكم رسل) والثانية في رسل الله جميعا، لأن الكلام على لسان أهل الجنة في الآخرة، فالرسل في الآية الثانية أكثر عددا مما في الآية الأولى ، فأنث الفعل للكثرة، وذكره للقلة"[27].

عموما فأمر التذكير والتأنيث عموده المعنى والسياق أي ما يرجع للجانب البلاغي وإن كان الأمر يبدو لأول وهلة أنه مطلب نحوي بامتياز، فقد تصح القاعدة النحوية في تآليف البشر أما إذا تعلق الأمر بالقرآن الكريم أو الحديث الشريف فالأمر مختلف تماما، ولابد للدارس أن يكون على قدر من الفهم والاستيعاب والاستحضار للسياقات التي وردت فيها العبارة.

أما ما تعلق بـ (اجتمعن) و (جلسن إحدى عشرة نسوة) فيميل القاضي إلى رأي الأخفش فيستحسنه ويقدم لذلك الأدلة ويمثل الأمثلة، منها ما يرجع لكلام العرب، فمنهم من يقول" ضربوني قومك، وضرباني أخواك، فشبهوها بالتاء المظهرة في قالت جاريتك، كأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة كما جعلت للتأنيث"[28] ومنها ما يعود إلى كلام رب العالين وسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم "وعلى هذا حمل الأخفش قوله تعالى(وأسروا النجوى الذين ظلموا)، وفي صحيح مسلم حديثه صلى الله عليه وسلم: (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار)"[29]

المحل الثاني: قوله (إحدى عشرة نسوة) وباب العدد في العربية أن ما بين الثلاثة إلى العشرة مضاف إلى جنسه ليبينه ويوضحه، ومن أحد عشر إلى تسعة وتسعين مميز بواحد منصوب على التمييز يدل على جنسه ، وما بعد هذا مضاف إلى جنسه وقد جاء هاهنا النسوة وهو جنس بعد (إحدى عشرة) وهو خارج عن وجه الكلام ولا يصح نصبه على التفسير، إذ لا يفسر في العدد إلا بواحد، ولا يصح إضافة العدد الذي قبله إلا إليه إذا لا يضاف ما بعد العشر من العدد إلى المائة ، فوجب نصبه عندي، على إضمار "أعني" أو يكون مرفوعا بدلا من "إحدى عشرة" وهو الأظهر فيه، وعلى هذا أعربوا قوله تعالى(وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا) ف(أسباطا) بدل من اثنتي عشرة وليس بتفسير، قاله الفارسي وغيره. وحمل هذا الموضع من الحديث على هذا أولى عندي وأحسن وبالله التوفيق.

4- السند المعنوي (البلاغي):

مضى القول في مناقشة القاضي عياض للصيغ (اجتمعن أو جلسن أو اجتمعت) في المحل الأول ، ونحن قائلون بإذن الله في المحل رأي القاضي في الترجيح بين (امرأة أو نسوة)، وقبل معالجة القضية من جانبها الدلالي والبلاغي، وجب أولا استحضار رأي القاضي في القضية نحويا، حيث يمكن تأويلها تأويلين مختلفين:

الأول: أن المميز المنصوب وجب أن يكون بواحد ولا يجوز فيه الجمع، وعلى هذا تكون امرأة راجحة لإفادة المميز الذي اجتمع أو جلس،

الثاني: مادامت نسوة ليست بواحدة فلا يصح إعرابها إلا على البدلية،

ونظرا لأن القاضي عياض رجح رواية البخاري التي ورد فيها (جلس إحدى عشرة نسوة) وعلق عليها القاضي بقوله"وهكذا وجدتها في أصل الأصيلي أبي محمد بخطه" فإننا نرجح إعراب نسوة على البدلية وليس على التمييز، قياسا على ما استدل به القاضي في قوله تعالى (وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا) فـ (أسباطا) بدل من اثنتي عشرة وليس بتفسير، قاله الفارسي وغيره. وحمل هذا الموضع من الحديث على هذا أولى عندي وأحسن وبالله التوفيق"[30]

ما يؤكد هذا الاختيار هو أن "امرأة" لا تتناسب والمعنى الإجمالي لهذا لحديث، لأن الحديث الشريف محاك للقرآن الكريم في ألفاظه وأساليبه، ولا يمكن أن يقع التناقض بينهما البتة.

لذلك فإننا إذا رجعنا إلى الخطاب القرآني فوجدناه لا يوظف المرأة إلا في سياقات مخصوصة لتحقيق إفادات بعينها، مثلت خطا واضحا لا يمكن أن يخطئه القارئ المدقق لأسلوب القرآن.

لذلك يمكن القول إن (امرأة) لا تتوافق دلاليا وبلاغيا مع الحديث، لأن القرآن الكريم لا يستعملها إلا في الحالات الآتية:

- لتوصيف غير المتزوجة كما هو الشأن في قصة موسى عليه السلام مع ابنتي الرجل الصالح (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ)[31] لمن عرفت بخيانة زوجها كما في قصة يوسف (قَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)[32]
- لتوصيف من لم تنجب بعد ،كما في توصيف امرأة زكرياء (قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا)[33] فلما أصلح الله رحمها سماها زوجا (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)[34]
- لتوصيف حياه زوجية غير مستقرة، كقوله تعالى ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ)[35]

هذه بعض الملامح القرآنية التي توظف فيها (امرأة)، وبالجملة فإنها حالات لا تعرف العشرة الزوجية فيها سكينة ولا مودة، لسبب من الأسباب المذكورة، وليس شرطا اجتماعها، لكننا بالرجوع إلى الحديث نجد من

ضمن النسوة اللواتي جلسن، من أكثرت من الإطراء في حق زوجها، وأبانت عن سعادة لا متناهية مع زوجها، بمعنى أن سبب تسميتها (امرأة) قد انتفى.

ثم بالمقابل وجدنا منهن من يصح تسميتها (امرأة) لانعدام شروط الزوجية في بيتها، لذلك رجحنا (نسوة على امرأة)، فضلا عن كون (نسوة) تفيد القلة، وهذا لا يتنافى مع نص الحديث.

5- السند اللغوي:

أما بخصوص جلس واجتمع فمختلفان صوتيا ودلاليا، ف (جمَع) من معانيها "جمْع الشيء عن تفرقة...والمجموع الذي جمع من ههنا وههنا"[36] وقال أيضا "النهب، إبل القوم التي أغار عليها اللصوص ، وكانت متفرقة في مراعيها، فجمعوها من كل ناحية حتى اجتمعت لهم، فإذا اجتمعت قيل أجمعوها"[37].

أما جلس فمن معانيها "القعود، والجلس الغليظ من الأرض، والجلس الصخرة العظيمة الشديدة، والجلس البقية من العسل تبقى في الإناء"[38]

إذن فما الذي يتناسب مع متن الحديث؟ هل اجتمع النسوة من كل ناحية؟ الجواب بالتأكيد لا، لأنهن كلهن من تهامة، أي أنهن في مكان واحد، والجمع لا يليق إلا في المتفرق، ثم لأننا نستبعد أن يكون النسوة أعددن إعدادا مسبقا للقائهن، لأن ذلك أدعى لإفشاء السر، فضلا ،كذلك، عن كون الهيئة التي انتظم فيها النسوة وهن يسردن تنفي التهيء والتنظيم القبلي، وتؤكد عفوية المجلس.

أما جلس فتعني قعد، ومن مشتقاته "الجلْس"، وللجلس، كما بينا، دلالتان كبيرتان:

الدلالة الأولى: الغليظ من الأرض، ومنه جمل جلس أي وثيق جسيم؛

والجلْس الصخرة العظيمة الشديدة،

الدلالة الثانية : البقية من العسل تبقى في الإناء.

وللمعنيين ارتباط وثيق بمعنى الحديث، إذ يمكننا تقسيم الحديث إلى فئتين :

الفئة الأولى تتأطر ضمن الرهبة وما تدل عليها معاني الشدة والغلظة،

والفئة الثانية تتأطر ضمن الرغبة وما يوحي به العسل المتبقي في الإناء.

أما الغلظة والشدة فتتناسب مع طباع الأزواج المتنكرين لحقوق زوجاتهم، مثل ما ذكرت الأولى: (زوجي لحم جمل غث على جبل وعث، لاسهل فيرتقى، ولا سمين فينتقى)[39] وليس أشد شدة من صخور الجبال، وليس أغلظ في الأرض من الجبال، والمرأة هذه شبهت زوجها بلحم غث على قنة جبل لا سبيل إلى بلوغه إلا بمعاناة ومكابدة، وفي ذلك إشارة واضحة إلى وعورة طباعه وغلظة نفسه وشدته على أهله، ومثلها كثيرات ممن بحن بمرارة ما يلقينه من أزواجهن الأجلاف.

وكقول الثانية (زوجي لا أبث خبره ، إني أخاف ألا أذره، إن أذكره أذكر عجره وبجره)[40]، فانظر إلى توجس هذه المسكينة من بطش زوجها، لذلك امتنعت عن القول، لأنها تعلم إن هي شرعت في إظهار عيوبه وسوءاته، فإنها لن تغادر منها صغيرة ولا كبيرة إلا وأحصتها للنسوة، وهي ليست عيوبا سهلة يمكن التغاضي عنها، بل إنها عجر وبجر، أي عيوب في الظاهر والباطن وكأنه جمع فأوعى لكل النقائص والعيوب، سواء أكانت

عيوبا نفسية تتأذي منها بعيدا عن الناس، أو عيوبا ظاهرة لا تخفى على غيرها، وهل ثمة شدة أكبر على امرأة من أن يكون زوجها قبيحا ومذموما ولئيما كهذا الذي وصفت؟

وكقول الثالثة: زوجي العشنق، إن أنطق أطلق، وإن أسكت أعلق على حد السنان المذلق)[41]، فأي شدة هذه وأي جبروت هذا، فليس للمرأة في اختيارها إلا التنكيل والتعذيب.

وليست الوعورة والشدة دائما تكونان بإيقاعهما على الغير، بل إن وقع الوعورة يكون أشد إذا كان الزوج غير مبال بامرأته، متغافلا عنها، مطرحا لحقوقها كما هي الحال مع السادسة التي وصفت زوجها بالقول: (زوجي إن أكل لف، وإن شرب اشتف، وإن اضطجع التف وإذا ذبح اغتث، ولا يولج الكف ليعلم اللبث)[42] .

أما من كان شره متعديا مستطيرا غير لازم لأهله فقط، فذلك بلاء ليس ينجو منه إلا محظوظ أو محظوظة، فانظر إلى قول السابعة: (زوجي عياياء حماقاء طباقاء كل داء له داء، شجك أو فلك أو بجك أو جمع كلا لك) فكل الأدواء مجتمعة فيه، فهو الحفرة الجامعة للعلل والأسقام المتفرقة في غيره، مضرته حسا ومعنى، جسدا وعقلا أصابت سهامها ليس فقط امرأته، بل كل النساء اللواتي وجه الخطاب لهن كما يظهر ذلك الالتفات إلى كاف الخطاب شجك أو فلك أو بجك أو جمع كلا لك)[43].

أما إيحاءت العسل، فالمعلوم عنه أنه شفاء ، ومن دلالته الحلاوة، وهي محمودة ومحبوبة، لأنها مقابل للمرورة التي تتعادل دلاليا مع المرارة، هذه الإيحاءات يمكن أن تفيدنا أن أحلى ما يكون من الزوج تجاه زوجته أو الزوجة تجاه زوجها كلمة طيبة تجد في القلب مستقرا لها، وتزيد من آصرة المحبة والترابط بين الأزواج، وليس يدفع المرأة لقول حسن طيب في حق الزوج إلا دماثة خلقه، وطيبة نفسه، وسهولة طبعه ولين جانبه، فإذا سبق هذا من الزوج، كان من الزوجة ما كفؤا له من الكلام الحق المعسول.

وقد يرمز الإناء للبيت الذي يجمع الزوجين، وفي هذا إشارة إلى أن الوعاء كله شهد تتمناه الأنفس وتتوق إليها الألسنة ويحمده الذوق السليم، فلنسمع إلى بعض أقوال النسوة وهن يتكلمن عن أزواجهن من داخل خلية النحل، تقول الرابعة:(زوجي كليل تهامة والغيث غيث غمامة، لا حر ولا قر ولا سآمة ولا يخاف خلفه ولا أمامه)[44] ولفهم علاقة الانتشاء والرغبة عند هذه المرأة لزوجها رغبة العليل في العسل للتداوي والاستشفاء، فإنها جعلت زوجها بمنزلة الليل الذي يحمل معه نسيما باردا يخفف من قهر الشمس وسطوتها، فالمعروف عن تهامة شدة حرها، وسخونة جوها، ما جعل ناسها يأنسون بالليل ويتحينون إسدال جناحيه، ليحلى لهم السهر والتجمع، فكما أن نفوس أهل تهامة تتوق لليلها، فإن هذه الزوجة تعتبر رجوع زوجها بعد غياب أو دخوله بعد خروج يخفف عليها الشدائد ويبرد حر الفراق وحر الحياة ، فالحياة معه أهنأ وأحلى وأشهى إلى نفسها اشتهاء أهل تهامة لليل، وفضلا عن ذلك جعلته بمنزلة الغيث ولم تجعله مطرا، لأن الغيث مقرون بالخيور كلها في السياق القرآني، أما المطر فقد ورد في سياق الانتقام والتأديب. ولم تكتف بذلك بل زادت أمرا لا تستقر الحياة الزوجية إلا به وهو الأمن والأمان.

أما الخامسة فترغب في زوجها لأنه لايبرحها بعد الدخول رغبة في النوم إلى جانبها، أما بعد الخروج فله في قومه مهابة السبع في الحيوانات، ومن أعجب طباعه وأحلاها إلى زوجه كثرة تغاضيه وتغافله، فليس خبا ولا غرا وإنما اتصف بصفة الكرام، وليس أحلى لقلب المرأة ولا أقرب إلى نفسها من زوج يتغاضى عن هفواتها

وغلطاتها، لئلا يوقعها في الحرج فتشعر بالصغار والدونية بين يديه، تقول عن زوجها (زوجي إن دخل فهد، وإن خرج أسد ولا يسأل عما عهد، ولا يرفع اليوم لغد)[45]

وقد يكون معادلا لحلاوة الذوق طيب الرائحة كما وصفت الثامنة زوجها حين قالت:(زوجي الريح ريح زرنب، والمس مس أرنب وأغلبه والناس يغلب) فريحه تتوق إليها النفس، وترغب فيها، فهو الرقيق الأنيق، فحتى معالجته الجسدية لها رقيقة تقوم على المس وليس على اللمس، لأن المس هو أول يكون بين جسمين من تماس، ولذلك نفته مريم عن نفسها في قوله تعالى حكاية عنها: (قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا)46 ، فإذا انتفى المس فكيف يكون الحمل الذي يقتضي التغشي والوطء؟ ثم إن في المس خفة ووداعة و في اللمس هصر وعصر، أفلست ترى أن المس لخفته قرن الأرواح وليس بالأجساد وكأنه فعل لا يدركه البصر،كقوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ)[47]. والأجمل أنها لفرط حيائها لم تسند المس لفاعله ولا للذي وقع عليه الفعل.

وثمة أمر آخر جعل العلاقة بين الزوجين فضلا عن التغاضي والاستحياء أنه تغلبه فينغلب لها، إذ لا يغلبن إلا كريما ولا يغلبهن إلا لئيم، أما الناس فيغلبهم، وفي هذا إشارة لطيفة إلى وداعته ولين جانبه مع أهله، في مقابل قوته وغلبته لغيره إذا اقتضى الأمر مغالبة.

وأما التاسعة فقد وصفت زوجها بصفات الكرام، وجعلت بيته قبلة للضيفان، تميل إليه فيه كما تميل النحل على يانع الأزهار، وكيف لا يطرق بيته الضيوف وهم يعلمونه بيت كرم وشفاء؟ تقول في حقه (زوجي رفيع العماد، طويل النجاد، عظيم الرماد، قريب البيت من الناد، لا يشبع ليلة يضاف، ولا ينام ليلة يخاف)[48]، وفي صفة الكرم تشبه العاشرة التاسعة، حيث تقول (زوجي مالك وما مالم؟مالك خير من ذلك ، له إبل قليلات المسارح، كثيرات المبارك، إذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك)[49].

بعدما قسمنا الحديث إلى مجموعتين: مجموعة الرضا والرغبة، ومجموعة السخط والرهبة، نصل إلى الحادية عشرة التي سمي الحديث باسمها، وهي أم زرع التي أشادت بأبي زرع أيما إشادة وأكثرت من الإطراء في حقه، ولم تنس محيطه تنويها وإعظاما، فذكرت بعد أبي زرع، أم أبي زرع بنت أبي زرع، وجارية أبي زرع وضيف أبي زرع وطهاة أبي زرع ومال أبي زرع، بعد إسهاب في ذكر أفضال أبي زرع وأهل أبي زرع، نتفاجأ بحدث شديد غليظ يجعلنا نغير موقع أم زرع من مجموعة الرضا والرغبة إلى مجموعة الشدة والغلظة والرهبة، ألا وهو قولها (خرج أبو زرع والأوطاب تمخض ، فلقي امرأة معها ولدان كالفهدين، يلعبان من تحت خصرها برمانتين فطلقني ونكحها، فاستبدلت وكل بدل أعور فنكحت بعده رجلا)[50].

هكذا تستبدل أم زرع من واقع حلو إلى آخر مرير، إلا أن طعم الحلاوة لن يفارق أم زرع، فلقد عاشت فيضا من المشاعر الحلوة مع أبي زرع، ليس يسهل نسيانها، فإن فعل أبي زرع غير المتوقع دفعها إلى رد فعل رأبا للصدع، وجبرا للكسر النفسي الذي انهال عليها، فتزوجت كما تزوج لكن زواجها كان مجرد استبدال "وكل بدل أعور" كما قالت.

هذا الذي استبدلت أم زرع لم يأل جهدا في إسعادها قائلا (كلي أم زرع وميري أهلك .فلو جمعت كل شيء أعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبي زرع)[51]

إن أفضال الزوج الثاني تعدت أم زرع إلى أهلها، لكن أم زرع استصغرت كل ذلك إقرارا منها بأن معاشرة أبي زرع لها، وما بقي في قلبها من حلاوته مماثل لما يتبقى في إناء عسل كان مفعما به في زمن ما ، فعلى الرغم من امتداد يد النقصان إليه، إلا أن الذي سيتبقى في الإناء سيظل عسلا، ويبقى كذلك، وسيظل مذاقه حلوا لذيذا، وتلك خلاصة تجربة زوجية انبنت على المحبة، لكن سرعان ما انصدع البناء لسبب أقل ما نقول فيه أنه انفعالي، وقد كشف البناء الأسلوبي على لسان أم زرع عن هذهالحقيقة، حيث اعتمدت تقنيتي الإحضار والتغييب :

- (فلو جمعت كل شيء أعطانيه)/ تغييب للزوج الثاني من خلال ضمير الغائب (ه).
- (ما بلغ آنية أبي زرع)/ استدعاء لمطلقها أي زرع وهي في حضرة زوجها الثاني.

كل هذا يكشف بشكل ظاهر أن أم زرع وإن طلقت من أبي زرع إلا أنه الأقرب يبقى إلى قلبها والأحلى في وجدانها، فعلى الرغم من انتهاء معظم الحلاوة لأنها لم تعد تتكلم من داخل الشهد، إلا أن لهاتها ما تزال تمطأ ما تبقى من شيء اسمه العسل.

وبالرجوع إلى معنى الجلْس الذي انطلقنا منه، باعتباره أحد مشتقات الفعل "جلس" (وهو البقية من العسل تبقى في الإناء) ندرك مدى تناسب الدلالة المعجمية للجلس والحالة النفسية والعاطفية لأم زرع، وكذا تناسب اختيار فعل جلس عوض اجتمعت مع معنى الحديث. بهذه الملاحظات أمكننا ترجيح جلس على اجتمعت لما فيها من الإيحاءات والظلال مع معنى الحديث برمته.

وإلى جانب ما ذكرنا فإن من مشتقات (جلس): المجلس الذي من مقتضياته الحفاظ على أمانته، والمتمثلة في الصدق، وحديث أم زرع يجعل مطلبا التعاهد والتعاقد بندان أساسان بين النسوة قبل الشروع في البوح، كما هو ثابت في الحديث، فقد وقع في بعض طرق النسائي قوله "جلس عشر نسوة فتعاهدن وتعاقدن" وقال بعضهم: "أن يتصادقن ولا يكتمن من أخبار أزواجهم شيئا"[52]

ولنا أن نتساءل لم ورد لفظ أخبار في الحديث بدل أنباء، وهي من معادلاتها الدلالية؟

إن الحديث نحا نحو القرآن الكريم في أساليبه واختيار ألفاظه، وللقرآن دقة متناهية في الاختيار تجعل لكل لفظ دلالاته الخاصة وإيحاءاته المخصوصة،ولو تتبعنا آي القرآن لوجدنا أن النبأ أهم من الخبر وأعظم[53] وقد أكد هذا صاحب المفردات بقوله "النبأ خبر ذو فائدة عظيمة، يحصل به علم أو غلبة ظن، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة، وحق الخبر الذي يقال فيه نبأ أن يتعرى عن الكذب، كالتواتر وخبر الله تعالى وخبر النبي عليه الصلاة والسلام"[54]. وهذا مؤكد ما دامت الأخبار التي ستنقل النسوة مهما بلغت أهميتها لن تعدو كونها أمورا خاصة، ولا سبيل إلى مقارنتها بالنبأ الوارد في قوله تعالى (عم يتساءلون عن النبأ العظيم)[55] أو قوله سبحانه (قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون).[56]

ولئن سلمنا بحصول فائدة من أخبار النسوة، وكذا حصول العلم أو الظن بها، إلا أننا لسنا نملك دليلا قاطعا على صدق ما قلن، وتعريه عن الكذب، على الرغم مما سبق بينهم من التعاهد والتعاقد، فضلا عن كونهن

جاهليات لا علم لهن بنص شرعي يحرم الكذب، وإن كانت الأخلاق العالية تأباه وتنبذه، ولو لم يقتض ذلك نص ولا شريعة.

ارتكازا على الفروق الدقيقة التي سطرها الراغب رجح القول بتناسب الخبر مع النص، ولو أبدلنا به النبأ لضاع المعنى وتلاشى.

على سبيل الختم:

أبان القاضي عياض، رحمه الله، عن مهارات لغوية عجيبة جعلته أهلا لتدليل صعاب النص وتقريبه للمتلقي، شرحا وتفسيرا من خلال تقليبه على عدة وجوه: نحوا وبلاغة و معجما.

وقد رمنا من خلال هذه الدراسة ترسيخ قناعة علمية وضرورة منهجية مفادها ضرورة انفتاح النص القديم على المناهج المعاصرة، وإلا فليس أحسن من دراسة القديم غير القديم نفسه، لأننا، ونحن نقرأ البغية أو غيرها من شروح الحديث أو التفاسير أو الشروح الشعرية، نتلمس بعضا مما نسميه اليوم منهجا من المناهج المعاصرة المعروفة.

وقد كان في نيتنا قبل الشروع في تحرير هذه الورقة، أن نأتي على الحديث كله بالمدارسة والتحليل لبيان تكامل المعارف اللغوية فيه، باعتبار التحليل التساندي يمثل رافعة للمعنى تحرره وتبينه وتجليه، لأن التحليل الأحادي لا يمكن أن يوصل لنتائج محمودة، لذلك اعتقدنا جازمين بجدوائية التحليل المتعدد الذي يعتبر النحو مبتدأ والبلاغة خبرا واللغة ركنهما الأقوم لهما، ولازمهما الأعظم، فلا يمكن للجملة الموسعة (النص) أن تكون ذات فائدة إلا بثلاث أثاف على الأقل، فليس يخفى أن غاية النحو هي الإعراب والإبانة، إلا أن وظيفة البلاغة، وإن كانت هي البلوغ والإبلاغ إلا أنها تبحث في كيفية الإبلاغ وطرائقه، فتنظر تارة في اللفظ نظرة بناء لا تزويق، وأخرى في التركيب نظرة استمداد من الأول الذي بني عليه، ونظرة إمداد لما سينبني عليه، وفي أثناء كل تبقى اللغة وعاء المعنى وموردة.

لما كانت نظرتنا للتحليل موسعة وشمولية على النحو الذي ذكرناه تعصى علينا معالجة الحديث كله فاستغرقنا صدره أيما استغراق، فانكببنا على الصدر وأرجأنا بقية المتن لدراسة أخرى تتلو هذه إن أنسأ الله في العمر وكان فيه بقية .

والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

- ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، الطباعة المنيرية
- ابن منظور الإفريقي، لسان العرب دار صادر بيروت ط4،2005
- الراغب الأصفهاني، المفردات مادة نبأ، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز
- الفراء، أبو زكرياء يحي بن زياد معاني القرآن، دار الكتب المصرية للتأليف والترجمة 1955
- القاضي عياض ، بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد تحقيق صلاح الدين بن أحمد الإدلبي، محمد الحسن أجانف، محمد عبد السلا م الشرقاوي وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية 1975
- الكفوي أبو البقاء الحسيني، الكليات، طبعة بولاق ط2

- عبد السلام الهراس، شيء من منهجية عياض، مجلة المناهل صادرة عن وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية الرباط، المغرب ع 19 دجنبر 1980
- فاضل صالح السامرائي، الأسئلة البيانية في القرآن الكريم مكتبة التابعين القاهرة ط1 – 2008
- فاضل صالح السامرائي، معاني النحو الجزء الثاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع عمان الأردن ط 1-2000
- سيبويه، كتاب سيبويه، طبعة بولاق

هوامش البحث:

[1] - القاضي عياض ، بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد تحقيق صلاح الدين بن أحمد الإدلبي، محمد الحسن أجانف، محمد عبد السلام الشرقاوي وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية 1975 ص1.

2 - عبد السلام الهراس، شيء من منهجية عياض، مجلة المناهل ع 19 -1980 ص 613

[3] - القاضي عياض ، بغية الرائد ص3

[4] - نفسه ص4

[5] - القاضي عياض، البغية ص6

[6] - نفسه ص26

[7] - نفسه

[8] - نفسه 31

[9] - القاضي عياض، البغية ص27

[10] - نفسه

[11] - نفسه ص27-28

[12] - سيبويه، كتاب سيبويه، طبعة بولاق ج1 ص235

[13] - سيبويه، الكتاب، ص 28

[14] فاضل صالح السامرائي، معاني النحو الجزء الثاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع عمان الأردن ط 1-2000 ص 61

[15] - البقرة 275

[16] - يونس 56

[17] - فاضل صالح السامرائي، معاني النحو الجزء الثاني ص61

[18] - هود 67

[19] - هود 94

[20] - فاضل صالح السامرائي، معاني النحو الجزء الثاني ص61

[21] - ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، الطباعة المنيرية ج 1 ص126

[22] - الكفوي أبو البقاء الحسيني، الكليات، طبعة بولاق ط2 ص 328

[23] - الفراء، أبو زكرياء يحيىبن زياد معاني القرآن، دار الكتب المصرية للتأليف والترجمة 1955 ج1 ص 435

[24] - البقرة 209

[25] آل عمران 105

[26] - فاضل صالح السامرائي، معاني النحو الجزء الثاني 66-67

[27] - فاضل صالح السامرائي، معاني النحو الجزء الثاني ص69

[28] - القاضي عياض، بغية الرائد ص29

[29] - نفس بغية الرائد ص29

[30] - القاضي عياض، بغية الرائد ص31

[31] - القصص 23

[32] -يوسف 30

[33] - مريم8

[34] - الأنبياء 90

[35] التحريم 10

[36] - ابن منظور الإفريقي، لسان العرب مادة (جمع) ص 196 وما بعدها

[37] نفسه،

[38] - نفسه مادة (جلس) ص 176 وما بعدها

[39] - القاضي عياض ، البغية ص 6؛

[40] - نفسه ص7؛

[41] - نفسه؛

[42] - نفسه ص 7- 8؛

[43] - بغية الرائد ص8

[44] - نفسه ص7

[45] - نفسه ص 7

[46] مريم 20

[47] - الأعراف201

[48] القاضي عياض، البغية ص 8

[49] نفسه ص 8

[50] - القاضي عياض، البغية ص11

[51] نفسه ص 11

[52] القاضي عياض، البغية ص6

[53] ينظر فاضل السامرائي، الأسئلة البيانية في القرآن الكريم مكتبة التابعين القاهرة ط1 – 2008 ص 203-204

54 - الراغب الأصفهاني، المفردات مادة نبأ ص622

[55] - النبأ 1-2

[56] - سورة ص 27-28